

نفحات القرآن

[352] وَأَبْصَارًا ... وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). إن الآية تؤكد أن تكذيبهم المتوالي لآيات الله سلب إدراكهم ومعرفتهم، فابصارهم ترى وآذانهم تسمع وأفكارهم تعقل ظاهراً، إلا أن الستار الحاجب حال دون استعانتهم بوسائل المعرفة هذه فابتلوا بعذاب الله. "يجحدون" من مادة "جحد" ويعني في الأصل نفي شيء تيقن الإنسان من وجوده أو إثبات شيء يؤمن الإنسان بعدمه، وبتعبير آخر: الجحد يعني انكار الواقعيات عمداً وعن معرفة (1). إن التجربة أثبتت أن الإنسان إذا ما استمر في انكار الواقعيات، فستصبح القطعيات عنده - تدريجياً - شكاً، وإذا استمر الانكار أكثر فإن قدرته على التمييز تتبدل بحيث يرى الحق باطلاً والباطل حقاً. وهناك مناشيء وعلل لهذا العمل (أي انكار الواقعيات مع العلم والمعرفة)، فتارة ينشأ عن العناد، وتارة أخرى عن التعصب، وتارة عن الكبر والغرور، وتارة يقدم الإنسان عليه حفاظاً على مصالحه المادية التي تتعرض للخطر إذا ما كشف عن الحقائق، وتارة لأجل شهوات أخرى، وعلى أي حال فإن لهذا العمل مردوداً سلبياً، وهو حدوث حجاب على العقل والفطرة فتتقلب قدرة التمييز عند الإنسان رأساً على عقب. * * * 16 - حجاب الظن السميكة إن اتباع الظنون الباطلة يغير العقل تدريجياً ويحرفه عن جادة المعارف _____ 1 - مفردات الراغب مادة (جحد)، كما يقول الجوهري: إن الجحد هو الانكار مع العلم. كما ذكر ذلك صاحب مجمع البحرين في مادة (جحد).